

خطبة الجمعة - الخطبة ٧٦٨ : خصائص الدعوة الصامتة (شروط ومظاهر الدعوة بالحال)

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٠٠٠-١١-١٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الخطبة الأولى:

الحمد لله نحمه، ونستعين به ونسترشده، ونعود به من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا. مَن يهدِ الله فلا مُضل له، وَمَن يُضلل فلن تجده ولِيَا مرشدًا، وأشهد أَن لِإِلهَ اللهِ وحده لا شريك له، إقراراً بربوبيته، وإرغاماً لمن جد به وكفر، وأشهد أَن سيدنا محمداً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رسولَ اللهِ سيدَ الْخَلْقِ وَالْبَشَرِ، مَا اتصلت عينُ بِنَظَرٍ أَوْ سمعت أَذْنُ بِخَبَرٍ. اللَّهُمَّ صَلِّ وَسِّلِّ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ، وَعَلَى ذَرِيَّتِهِ وَمَن تَبَعَهُ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ. اللَّهُمَّ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلِمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ، اللَّهُمَّ عَلِمْنَا مَا يَنْفَعُنَا، وَانْفَعْنَا بِمَا عَلِمْتَنَا، وَزَدْنَا عِلْمًا، وَأَرْنَا الْحَقَّ حَقًا وَارْزَقْنَا اتِّبَاعَهِ، وَأَرْنَا الْبَاطِلَ باطِلًا وَارْزَقْنَا اجْتِنَابَهِ، وَاجْعَلْنَا مَنْ يَسْتَمْعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَبعُونَ أَحْسَنَهُ، وَأَدْخِلْنَا بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ.

الإيمان وحده من دون استقامةٍ أو التزامٍ لا يجيء ولا ينفع :

أيها الأخوة المؤمنون... الأنبياء والمرسلون قم البشر؛ اصطفاهم الله عزّ وجلّ، وطهرّهم، وزكّاهم، وجعلهم دعاءً إلى الله بأقوالهم وأفعالهم، جاؤوا بالكلمة الطيبة التي غيرت وجه الحياة، غيرت معالم الأرض، جاؤوا بالكلمة الصادقة، قال تعالى:



﴿أَلمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةً طَيِّبَةً أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ * تُؤْتَى أَكْلُهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾

[سورة إبراهيم : ٢٤-٢٥]

أيها الأخوة... لكن حينما فشا الكذب، وفشا التزوير، وفشا الفساد في الأرض، والإنسان في الأصل منطقي، فكل إنسان انحرف غطّي انحرافه بكلام، أو أنه تكلّم كلاماً لا يؤكّده الواقع، فالذى حصل مع مرور الأيام أن الناس زهدوا بالكلمة - أية كلمة - والدعاة إلى الله سلاهم الأول

الكلمة، فلابد من أجل أن ينتشر الحق من أن تدعّم هذه الكلمة بواقع متألق، لأن الله عزّ وجل حينما قال:

﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَنَزَّلَ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزُنُوا﴾

[سورة فصلت: ٣٠]



قالوا: ربنا الله، هذا معتقدهم، هذا المنطلق النظري، هذه العقيدة، هذا التصور، ثم استقاموا هذا السلوك العملي، ولا يمكن أن يفرق في الدين بين ما تعتقد وبين ما تعمل، لابد من حركة، لابد من التزام، لابد من أن تعطي الله وأن تمنع الله، لابد من كلمة لا بملء الفم إذا انتهكت حرمات الله عزّ وجل، لابد من موقف، لابد من سلوك،

في أكثر من مئتين وخمسين آية ورد قوله تعالى:

﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾

[سورة البينة: ٧]

وكان الإيمان وحده من دون استقامة، أو التزام، أو عمل صالح لا يجدي، ولا ينفع، ولا يرقى بصاحبه إلى النجاة.

مهمات الأنبياء :

أيها الأخوة... لكن الحقيقة الثانية هي أن الأنبياء الكرام صلوات الله عليهم وسلمه كانت لهم مهمتان كبيرتان؛ المهمة الأولى: تبليغية، لكن المهمة الأخطر هي: مهمة القدوة، هم بلّغوا الناس بأسنتهم، وبلغوهم بأحوالهم، تبليغهم بأحوالهم أبلغ من تبليغهم بأسنتهم، إذاً هم دعوا إلى الله بأحوالهم، بأسناتهم، بصدقهم، بأمانتهم، بعفافهم،



بإنجازهم للوعد، برحمتهم، بعفومهم، ولا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها: " كنا قوماً أهل جاهلية نعبد الأصنام، ونأتي الفواحش، ونسفك الدماء، ونقطع الرحم، ونسيء الجوار، حتى بعث الله فينا رجلاً نعرف أمانته، وصدقه، وعفافه، ونسبة، فدعانا إلى الله لنعبده ونوحده، ونخلع ما كان يعبد آباءنا من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء ".

الدعوة الصامتة :



لغة العمل أبلغ من لغة القول

أيها الأخوة... بعد هذه المقدمة موضوع الخطبة اليوم : الدعوة الصامتة، يمكن أن تكون أكبر داعية إلى الله، ويمكن أن تفعل فعلًا ما فعله أحد وأنت صامت، وأنت مطبقٌ شفتيك، لأن لغة العمل أبلغ من لغة القول، ولأن الناس يتّعلّمون بعيونهم ولا يتعلّمون بآذانهم، لأن الناس محتاجون إلى أن يروا مسلماً متحرّكاً يعيش معهم، يتّأثر

كما يتّأثرُون، لكنه انتصر على نفسه كما لم ينتصروا، يريدون أناساً يقطفون ثمار هذا الدين ولا يتحدثون عنه، الناس يريدون مجتمعاً إسلامياً فيه الصدق، والأمانة، والعفاف، والرحمة، واللطف، لن تتّوسع دوائر الحق إلا بالتطبيق العملي، وشتان بين أن تقول: مئة ألف، أو مليون، أو ألف مليون، بين أن تلفظها وبين أن تملكها، شتان بين أن تملك خارطة قصرٍ منيف، وبين أن تسكن هذا القصر، بين أن تملك صورة سيارةٍ فارهة، وبين أن تركب هذه السيارة، فرقٌ كبيرٌ وبين شاسع بين القول والعمل.

خصائص الدعوة الصامتة :

١ – الدعوة بالأحوال أبلغ من الدعوة بالأقوال :

أيها الأخوة الكرام... هذه الدعوة إلى الله، الدعوة الصامتة ما خصائصها؟ وما مزاياها؟ بدأ ذي بدء حال واحدٍ في ألف؛ إنسان مطبق، مخلص، موصول، حال واحدٍ في ألف أبلغ من قول ألفٍ في واحد، أول مزايا الدعوة الصامتة: أن الدعوة بالأحوال أبلغ من الدعوة بالأقوال، فكلُّ منا

يستطيع أن ينْمِّي الكلام، وأن يُبَيِّجِّ المقال، وأن يحسن الحديث، وأن ينْتَقِّهُ بما لا يعتقد، وأن يفعل ما لا يقول، وهذه مشكلة المشكلات، وهذه معضلة المضلالات أن نقول ما لا نعتقد، وأن ن فعل ما لا نقول، أي إنسان أُوتِي ذكاءً أو تقافةً بإمكانه أن يتكلم كلاماً مقنعاً، ولكن الذي يهز صمائنا، ويثير حساسنا، ويشدنا إلى الدين أن نرى رجلاً يفعل ما يقول، ويقول ما يعتقد، نريد أن نرى مسلماً متحركاً، كما أن بعض العلماء قال: القرآن كونٌ ناطق، والكون قرآنٌ صامت، والنبي عليه الصلاة والسلام قرآنٌ يمشي. يمشي بين الناس.

أيها الأخوة الكرام... النبي عليه الصلاة والسلام في الحديثة، أمر أصحابه أن يتحلوا وأن يحلقوا، لكن ما الذي حصل؟ حينما خرج وتحلّ وحلق ونحر تابعه أصحابه، هذه نقطة دقيقة جداً، بينما كان مع أصحابه في سفر، وأرادوا أن يعالجو شابة لياكلوها، قال أحدهم: على ذبحها، وقال الثاني: على سلخها، وقال الثالث: على طبخها، وقال عليه الصلاة والسلام: على جمع الحطب، قالوا: نكفيك هذا يا رسول الله، قال: أعلم أنكم تكفونني ولكن الله يكره أن يرى عبده متذمراً على أقرانه، هذا الموقف أبلغ ألف مرة من مئة ألف محاضرة في التواضع، موقف؛ علمهم بأحواله، قام وجمع الحطب، بينما كانوا في معركة بدر، وكانت الرواحل قليلة، فقال عليه الصلاة والسلام:

((كل ثلاثةٍ على راحلةٍ وأنا وعلى أبي لبابةٍ على راحلةٍ))

[أحمد عن ابن مسعود]

ركب النبي الناقة في نوبته، فلما انتهت نوبته وجاء دوره في المشي، فتوسل إليه أصحابه أن يبقى راكباً، فقال عليه الصلاة والسلام:

((ما أنتما بأقوى مني على السير - كان قوياً صلى الله عليه وسلم - ولا أنا بأغنى منكما عن الأجر))

[أحمد عن ابن مسعود]

هذا تعليم بالأحوال لا بالأقوال، والله الذي لا إله إلا هو، لو أن كل مسلم ولو لم يكن داعيةً، ولو لم يكن محصلاً للعلم الشرعي الذي ينبغي أن يحصله الدعاة، ولو لم يكن طليق اللسان، يكفي أن يكون أميناً وصادقاً ووديعاً ورحيناً لي فعل فيمن حوله فعل السحر. نحن بحاجة إلى إنسانٍ يفعل أكثر مما نحن محتاجون إلى إنسانٍ يقول.

أيها الأخوة الكرام... هذه الدعوة الصامتة أول مزاياها: أن الدعوة بالأحوال أبلغ من الدعوة بالأقوال.

٢ - من يدعو الناس بأحواله كل من حوله يفهم عليه من دون تردد :

هناك خاصية ثانية: المتكلم إما أن يرفع مستوى كلامه، فيأتي بالأدلة الدقيقة والعميقة، إما أن يرفع مستوى لغته، وإما أن يحلق في عالم الأدب، وإما أن يأتي بأحدث ما في العلم، من يتبعه؟ قلة

قليلة، وإنما أن يضعف المستوى، ويتكلم بالعامية ليفهم الكثرة الكثيرة، لكن الخواص ينفرون منه، فالدعوة بالأحوال يستوي جميع الناس في فهمها، متقدّهم وغير متقدّهم، العمل واضح كالشمس، فأنت إن رفعت المستوى خسرت الطبقة الواسعة، وإن خفضت المستوى خسرت الطبقة الخاصة، أما إذا كنت أميناً، أما إذا كنت مستقيماً، أما إذا كنت صادقاً، أما إذا كنت رحيمًا، أما إذا كنت أباً كاملاً، أو زوجاً كاملاً، فإن كل من حولك يفهم عليك، لأن الحركة لا تحتاج إلى ثقافة، لكنها تحتاج إلى رؤية، هذه ميزة ثانية أن الذي يدعو الناس بأحواله كل من حوله يفهم عليه من دون تردد.

٣ – الحديث المشاهد أثبت بكثير من الكلمة المسموعة :

خاصية ثلاثة للدعوة الصامتة، قال العلماء - علماء النفس -: إن الحديث المشاهد أثبت بكثير من الكلمة المسموعة. مرةً كنا في الجامعة وكان هناك مادةً اسمها: الصحة النفسية فيها ثلاثة مرض نفسي، عرض علينا أستاذنا مشهداً متحركاً لمرض اسمه الصراع، هذا المشهد الذي رأيناه متحركاً بكل دقائقه لازال في ذكرتي



دائماً، السبب أن المشهد المتحركة أثبتت في النفس من الكلمات المنطقية، أنت حينما تشاهد حادثاً مرؤعاً، تبقى صورته في ذهنك إلى أمد طويل، أما إذا قرأت مقالةً عن حوادث السير، سرعان ما تنساها، لذلك الحياة شيء، والكلمة المكتوبة شيء آخر، فأنت حينما تعلم الناس بأحوالك. النبي عليه الصلاة والسلام رأى امرأة تقبل ابنها وقد أقامته ثديها، فالنبي عليه الصلاة والسلام - وهذا المشهد أمام أصحابه جميعاً - قال:

((هذه المرأة ألتقي بولدها إلى النار))

قالوا: معاذ الله !! أم، قال :

((الله أرحم بعده من هذه بولدها))

[البخاري عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه]

هذا المشهد لا ينسى، فأنت إن علمت الناس بأحوالك، بموافقاتك، بتواضعك، بكرمك، برحمتك، بعفوك، أنت مشهد متحرك لا ينسى هذا أبداً، أما إذا كنت فصيحاً وألقيت كلاماً بليناً، وتفننت في عرض الفكرة، وجئت بأدلتها، هذا كلام طيب له تأثير آني، ولكن بعد حين يبقى انطباع ضبابي، والله جلسة رائعة، كلمة رائعة، فما مضمونها ؟ والله لا أذكر، أما حينما تشاهد وأنت في حالة

إنسانية، وأنت تعمل عملاً طيباً، هذا الموقف المتحرك، هذا الذي اشتركت في نقله عدة حواس هذا لا ينسى، قالوا: في التعليم كلما كثرت الحواس التي تستقبل الشيء كان أثره أبلغ، يكفي أن تكون مسلماً، يكفي أن تكون صادقاً.

حدثني أخ دخل إلى بقالية، قال له: أعندي بيض طازج؟ قال له: والله الذي عندي جئت به قبل عدة أيام، أما جاري فجاءته وجبة الآن، خذ من جاري. هذا أبلغ من ألف خطبة، رأى الصدق. أعندي بيض طازج؟ قال له: لا، جاري عنده. مثل هذا البقال إن تكلم كلمة في الدين تسمع لأنها عند كلمته.. أرجو المعذرة أنا لا أقل من أهمية المتكلمين، قد يكونون أعلام الأمة، أما هؤلاء المتكلمون الذين هم أعلام الأمة فما كانوا أعلام الأمة إلا لأن واقعهم أكد كلامهم.

الدعوة إلى الله لها أثر كبير إما بكلام صادق أو بعمل صامت :

أيها الأخوة الكرام... الكلمة الصادقة، أو المصداقية في الكلام، بينما تكون متكلماً فصيحاً ذا بيان، ويتبع الناس أحوالك، فيرون حالك كما تقول، عندئذ يصدقونك، مرة سألت أحد الدعاة في بلدي عربي: ما نصيحتك إلى الدعاة إلى الله؟ كنت أظنه أنه سيتكلم كلاماً طويلاً، فإذا بها كلمة واحدة، قال: ليحرص الداعي ألا يراه المدعوون على خلاف ما يقول، فقط ولا أزيد على هذه النصيحة. لأنك إن لم تفعل ما تقول هناك سؤال كبير: هو لا يطبق كيف يعلمنا؟ فإن كان مقصراً ليس أهلاً أن يقول، وإن كان هذا الذي يقوله ليس واقعياً لا علاقة لنا به.

أيها الأخوة... الدعوة إلى الله لها أثر كبير إما بكلام صادق يؤكد الواقع، أو بعمل صامت يراه كل من حوالك.

هناك شيء دقيق جداً هو أن الناس ألغوا إما بوسوسة من الشيطان أو بخيث منهم، أنهم كلما دعوا إلى الحق قالوا: هذا كلام مثالي يا أخي، نحن عندنا واقع. كل إنسان أراد أن يتفلت من منهج الله يدعي أن هذه مثالية، هذا كلام، لكن حينما تدعوه إلى الله بعملك، تقدم المثالية مع البرهان عليها أنها واقعية، ما الذي يجعل المثال واقعاً؟ إذا طبق، وأنا أرى أن الأبلغ من ذلك أن يكون إنسان يعاني ما يعانيه الناس، ويؤلمه ما يؤلمهم، ويغريه ما يغريهم، يؤدي الأمانة إلى أهلها، أقسم لي بالله رجل أنه أعاد إلى ورثة عشرين مليون دون أن يعلموا عنها، دون إيصال، دون وثيقة، دون إدانة، بل دون علم، قدمها لوجه الله لأنها من حقم.

أيها الأخوة... مثل هذه المواقف؛ موقف فيه أمانة تدهش، فيه مؤاثرة تدهش، فيه تواضع مدهش، هذا الذي يجذب الناس إلى الدين، أنا أرى أن فصاحة الفصحاء لا تكفي كي تشتد الناس إلى الدين، ولكن عمل العاملين، وصدق الصادقين، وتواضع المتواضعين، ورحمة الرحماء، هي التي تشتد الناس إلى الدين، إذا حينما تدعو وأنت صامت تقدم الحقيقة مع البرهان عليها، تجعل ما يدعيه

الناس مثلاً تجعله واقعاً، وكلما كان المثل معاصرأً - إنسان يعاني ضغوطاً، لكنه كان وقافاً عند كتاب الله، أعطى كل ذي حق حقه- كان أبلغ.

الدعوة الخالدة هي الدعوة المبنية على موقف و كمال :

أيها الأخوة الكرام... أعداء الدين لهم شأنٌ واحد من آدم إلى يوم القيمة؛ أن يشكوا، أن ينتقدوا، أن يضعفوا، أن يفرغوا، هذه مهمتهم، ما دامت الدعوة بيانية فقط، ما دامت كلاماً فقط، فهناك ألف مجال ومجال للطرف الآخر أن ينقد هذه الدعوة؛ يشكك في النوايا، يشكك في الأهداف، يسبغ عليها طابعاً مصلحياً وهي بريئة منه، ما دامت الدعوة بيانية فقط، لأعداء الدين ألف سبيل وسبيلٍ عليها، ما دامت الدعوة بيانية فقط، وتاليفية فقط، وكُتبًا فقط، لأعداء الدين ألف سبيل وسبيلٍ عليها، أما حينما تغدو الدعوة سلوكاً، وممارسةً، وحركةً، وواقعاً، هذا يخرس أعداء الدين.

فمثلاً: النبي عليه الصلاة والسلام حينما عامل أهل مكة برحمة ما بعدها رحمة، ناصبه العداء عشرين عاماً، وقد انتصر عليها انتصاراً حاسماً مؤزراً عزيزاً، وبإمكانه أن ينتقم أشد أنواع الانتقام، بإمكانه أن يلغى وجودهم بإشارة لا بعبارة. قال:

((ما تظنون أني فاعل بكم؟ قالوا: أخٌ كريم وابن أخٌ كريم، قال: اذهبوا فأنتم الطلقاء))

[من فيض القدير في شرح الجامع الصغير]

حتى قال أبو سفيان: ما أعدلك! وما أرحمك! وما أكرنك! وما أوصلتك! هذه الدعوة الخالدة لأنها بنيت على موقف، بنيت على كمال.

أيها الأخوة... الدعوة الصامنة إجابة مفحمة لكل المضللين.

شيء آخر في الدعوة الصامنة، أن النبي عليه الصلاة والسلام مثلاً لو نصح الفقراء بالصبر وكان غنياً، وكان يعيش حياة مترفة، والله كلامه لا يصدقه أحد، أما حينما ذاق الفقر، دخل بيته قال : أعنكم شيء؟ والله أنا أعتقد أنه ما من واحدٍ منكم على الإطلاق إذا دخل بيته وقال لأهله: أعنكم شيء؟ يقال له: لا. مستحيل، قالوا: لا، قال :

((فإني صائم))

[الجامع الصغير عن السيدة عائشة]

ذاق الفقر، فإذا نصحنا أن نصبر، على العين والرأس، لأنه عاش آلام الفقر ونصحنا أن نصبر، أما لو كان مترفاً؛ دعوة مضحكه، دعوة المترف إلى التقشف دعوة مضحكه، لما أمرنا أن نعفو، وبإمكانه أن يطبق على أهل الطائف الجليلين، قال:

((اللهم اهد قومي إنهم لا يعلمون))

[الدر المنثور في التقسير بالتأثر]

هذه الدعوة الخالدة، لأنها بنيت على موقف.

أيها الأخوة... حديث طويل، ولكن إن أردتهم أن تكونوا دعاةً كباراً من دون ثقافةٍ عاليةٍ، ومن دون اطلاعٍ كبيرٍ على ما في الكُتب، ومن دون معالجة أدق القضايا، يمكن بصدقك، وأمانتك، واستقامتك، وعفافك أن تكون أكبر داعيةٍ وأنت صامت، ولأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خيراً لك مما طلعت عليه الشمس.

والله أيها الأخوة سمعت قصتين، الأولى سمعتها يوم كنت في الحج: أن رجلاً ألمانياً أسلم، فكان سبب إسلامه أن طالباً من سوريا سكن عنده في البيت، وعند هذا الرجل فتاة جميلة جدًا، لم يستطع والد هذه الفتاة أن يرى هذا الشاب مرةً ينظر إلى ابنته، غض البصر وحده جعله يسلم، غض البصر وحده.

هناك أستاذ رياضيات في مدينة في أمريكا ملحد، ويُسخر من كل الأديان، رأى فتاةً محجبةً حجاباً كاملاً تحضر دكتوراه في الرياضيات، قال: البنات هنا عرايا في الصيف، فما الذي في ذهن هذه الفتاة؟ ماذا عندها من فناعات حتى ترتدي هذه الثياب الكاملة؟! ثيابها فقط دعوه إلى دراسة الإسلام، والآن هو أكبر داعية هناك، لم تتكلم بكلمة واحدة إلا أن حجابها كان كاملاً والوقت صيف، والقيم هناك منهارة، وكل شيء يدعو إلى التفلت، فتاةً محجبةً حجاباً كاملاً جعلت من ملحد داعيةً، وإنسان بعيد عن الدين بعد الأرض عن السماء، جعله شابٌ غض بصره عن ابنته مسلماً، وهناك قصصٌ والله لا تعد ولا تحصى، الذي يشد الناس إلى الدين مسلمٌ حقيقيٌ مطبقٌ لأحكام الدين.

مجالات الدعوة الصامتة :

١ – القدوة :



كن قدوةً لمن حولك

يا أيها الأخوة الأكارم... مجالات الدعوة الصامتة، أول مجال: أن تكون قدوةً، هذا ملخص الماضي، أن تكون قدوةً وأسوةً لمن حولك فقط، ما جربوا عليك كذباً قط، ولا نفاقاً، ولا توانيًا، ولا تكاسلًا، ولا تقصيرًا، ولا إساءةً، ولا كلمةً بذئنة، القدوة والأسوة الحسنة هي أول مجالٍ من مجالات الدعوة الصامتة.

٢ – التفوق :

هناك شيء يبدو أنه في هذه الأيام مهم جداً هو أنك إذا تفوقت في مجال الحياة، تفوقت في علمك، في اختصاصك، في حرفتك، و كنت مسلماً تصلي، ربط الناس بين تفوقك في الدنيا وبين دينك، إذا كنت متفوقاً وأنت في أعلى درجة، وأنت ملتزم، الناس يربطون بين التفوق وبين الالتزام.



مثل بين أيديكم: لو أن أباً ابنه في مسجد، ونال الدرجة الأولى في الشهادة الثانوية، الأب ببساطة يربط هذا التفوق بالانتماء لهذا المسجد، يقول له بعد الامتحان والنجاح: خذ أخاك معك إلى المسجد. أما لو أن هذا الابن ملتزم لكنه رسب، الأب يعزّو رسوبه إلى المسجد، فيمنعه من متابعة الدروس، إذا تفوقت في شهاداتك، في امتحاناتك، في طبك، في هندستك، في تجارتكم، إن تفوقت وأنت ملتزم، وأنت مطبق، كنت داعية بطريقة أخرى غير القدوة، التفوق وحده دعوة إلى الله، أن تكون في قمة اختصاصك، هذا التفوق وحده دعوة إلى الله.

٣ – الإحسان :



الإحسان إلى الناس، أن تكون هيئاً ليناً،
أن تكون معطاءً، أن تكون سموحاً،
إحسانك إلى الناس دعوة إلى الله،
الإحسان قبل البيان، القدوة قبل الدعوة.
دخل عليه الصلاة والسلام إلى بستانٍ
فرأى جملًا حن و ذرفت عيناه، قال:
((من صاحب هذا الجمل))

[الطبراني عن عبد الله بن جعفر]

قالوا: صبيٌّ من الأنصار. قال :

((ألا تتقى الله في هذه البهيمة ؟))

[الطبراني عن عبد الله بن جعفر]

حينما تحسن نفتح القلوب، القلوب موصدة ومعها العقول، فإذا أحسنت فتحت القلوب، وبعدها فتحت العقول.

((ذكر عبادي بإحساني إليهم، فإن النفوس جبت على حب من أحسن إليها))

[Hadith Qdsi رواه البيهقي عن عمير بن وهب]

والله أعرف شاباً تزوج فتاة غير مسلمة، ثم أسلمت، أم هذه الفتاة حينما رأت من إحسان صهرها، ومن رحمته، ومن عنايته، وقد قعدت في فراشها في أواخر عمرها، أسلمت دون أن تسمع منه كلمة عن الإسلام، من معاملته. وهناك شواهد لا تعد ولا تحصى، المحسن يصفع إليه، المحسن يفتح القلوب بكلامه، فالإحسان إلى الناس، وتقديم البر، والخدمة لهم أحد ملامح الدعوة الصامتة، القدوة واحد، التفوق اثنان، الإحسان ثلاثة، هذه مجالات الدعوة الصادقة.

٤ – كظم الغيظ وعدم الانتقام والتسامح :

الآن، كظم الغيظ، وعدم الانتقام، والتسامح حتى في حق كداعية، كمواطن عادي لك أن تأخذ حقك، أما كداعية فإذا تسامحت في حقك، ورأى الناس تسامحك، ولينك أحبوك، قال تعالى:

﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي يَبْتَكَ وَبَيْتَهُ عَدَاؤُهُ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾

[سورة فصلت: ٣٤]



عدم الانتقام والتسامح دعوة إلى الله

هذه دعوة، أن تردد على الإساءة بإحسان هذه دعوة إلى الله. رجل يجمع التبرعات دخل إلى محل تجاري، فأساء له صاحب المحل إساءة بالغة، عمل تصرفاً، فجعل صاحب المحل يقع على الأرض من خجله، فتح له الصندوق وقال له: خذ ما تشاء ولا تعلمني بما تأخذ. التسامح، العفو، أن تتنازل عن بعض حقوقك كداعية، هذا يجعل الناس يميلون إليك. هذا بند آخر، كظم الغيظ، والتنازل عن بعض الحقوق الشخصية مقابل أن يميل هذا الإنسان إليك.

٥ – إنزال الناس منازلهم :

أيها الأخوة الكرام... هناك شيء في الدعوة يحتاج إلى عمق، أبو سفيان من وجهاء قريش، فالنبي عليه الصلاة والسلام قال:

((من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن أغلق بابه فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن))

[من مختصر تفسير ابن كثير]

هذا الشأن الذي منحه النبي لأبي سفيان جعله يميل إلى النبي عليه الصلاة والسلام، أي أنزلوا الناس منازلهم، إنسان متوفّق في اختصاص، ناده بلقبه العلمي يصغي إليك، إنسان عمل عملاً طيباً أثن عليه، هذا تمهد إلى أن تملك قلبه، هذا أيضاً من الدعوة الصامتة.

٦ – العاطفة الصادقة :



أما الشيء الأخير في هذا الموضوع: العاطفة الصادقة يلمحها الحاضرون، إذا كنت محبأ لهم، مخلصاً لهم، تتالم لأنهم، وتسعد لسعادتهم، هذا الشيء يعلم من حولك، فإذا كنت صادقاً في عواطفك فالعاطفة وحدها أساس من أسس الدعوة الصامتة، ولكن هناك شيئاً أيضاً غير طبيعي أن هناك من يقول: كلام عاطفي، العاطفة أساسية، لماذا خلقها الله عزّ وجلّ من أجل أن تذكر؟ ألم يقل الله عزّ وجلّ:

﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ * الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ﴾

[سورة الانفطار : ٦-٧]

خاطب قلبه أو لا..

﴿مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾

ثم خاطب عقله، أنت حينما تستخدم العاطفة الصادقة في التعبير عن مشاعرك تجاه الآخرين، يحبك الآخرون، أما أن تكون جامد العاطفة، تتحدث بالأفكار فقط، هذه دعوة متصرّرة ليست فيها حياة العاطفة، أنا أقول: لابد من التوازن؛ إن بالغت في الفكر من دون عاطفة لا تنجح، وإن جعلت الدرس كلّه عواطف، وانفعالات، وبكاء، وصراخ، وعويل لا تنجح، لابد من فكر ناضج، ولابد من عاطفة متزنة.

فهذه أيها الأخوة لا تحتاج إلى تفوق، ولا إلى شهادات، كل واحدٍ منكم بعمله، باختصاصه. والله أيها الأخوة قصة جاعتي الآن: أخٌ كريم يعمل في دائرة، فقدم لرئيسه إجازة ستة أيام، قال له: لا يوجد إجازات، قال له: هذه الإجازة تعادل صلاة الظهر ثلثين يوماً في جامع جانب الدائرة، فأنا من أجل الأمانة كل يوم ربع ساعة، جمعت هذا الوقت كله بلغ ستة أيام إجازة، فصعق هذا المدير ثم قال له: أنت منشيخك؟ وفي أي جامع أنت؟ أجابه، المفاجأة أن هذا الذي كان بعيداً

عن الدين بُعد الأرض عن السماء كان في المسجد في الأسبوع القادم، ما هذه التربية؟ يحاسب نفسه على ربع ساعة، صلى فيها الظهر إلى جانب دائرة، جمع هذا الوقت — أنا لا ألقي الآن حكماً فقهياً، هذا موضوع ثان، أنا أذكر مثلاً، يحتاج إلى مناقشة، وإلى توضيح، فهذا الإنسان عندما رأى من الموظف حرصه البالغ على الدوام، ومحاسبة نفسه بشدة، اشتئى أن يكون في عداد رواد هذا المسجد.

فيها الأخوة... هذه الخطبة من نوع آخر، طبعاً مع طوفان الشهوات، وشيوخ الضلالات، والفسق، والفجور، نحن في أمس الحاجة إلى دعاء، أما الدعاة المتكلمون فرائعون لكنهم قلة، أما الدعاة الصامتون فيجب أن يكونوا كثرة، بل بإمكان كل مؤمنٍ مهما كان شأنه ضعيفاً أن يكون داعيةً صامتاً، والناس يتعلمون بعيونهم لا بآذانهم.

أيها الأخوة الكرام... حاسبو أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم، واعلموا أن ملك الموت قد تخطّانا إلى غيرنا وسيتخطى غيرنا إلينا فلانتخذ حذرنا، الكيس من دان نفسه، وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هوها وتمني على الله الأماني.

* * *

الخطبة الثانية :

أشهد أن لا إله إلا الله ولـي الصالـحين، وأـشـهـدـ أـنـ سـيـدـنـاـ مـحـمـداـ عـبـدـهـ وـرـسـوـلـهـ، صـاحـبـ الـخـلـقـ العـظـيمـ، اللـهـمـ صـلـ وـبـارـكـ عـلـىـ سـيـدـنـاـ مـحـمـدـ وـعـلـىـ اللـهـ وـصـحـبـهـ أـجـمـعـينـ.

الصلوة التي تصليها و العمل الصالح الذي تعمله يبقى و الباقي كله فان :

أيها الأخوة الكرام... معنا في المسجد لجنة كريمة لجمع التبرعات لثانويتين شرعيتين، الأولى في دوما والثانية في داريا. أريد أن أقول لكم أيها الأخوة: إنك إذا علمت فتاة علمت أسرة الفتاة هي المربيّة، النبي عليه الصلاة والسلام جاعته امرأة قالت:

يا رسول الله إن زوجي تزوجني وأنا شابة ذات أهلٍ وجمال، فلما كبرت سني، ونثر بطنِي، وتفرق أهلي، وذهب مالي قال: أنتِ عليَّ كظُهر أمي، ولِي منه أولاد، إن تركتمهم إليَّ ضاعوا - أنا أربِّهم - وإن ضممتهم إليَّ جاعوا .

الشاهد في هذه القصة أن المرأة مرببة، وأن الرجل عمله خارج المنزل يكبح ليأتي برزق أولاده وعياله، هو القائد المشرف، أما التفاصيل اليومية فمنوطه بالأم، فإذا علمت أمًا علمت أسرة، وإذا



علمت المرأة علّمت نصف المجتمع، فأيّاً إليها الأخوة هاتان الثانويتان الشرعيتان لا أزكي القائمين عليها على الله، ولكن أحسبهم صالحين، هم يربون آلاف الفتيات على الكتاب والسنّة، فإن دعمتم هاتين الثانويتين فهذا في صحيفة أعمالكم، وأرجو الله أن يكون هذا الدعم صدقةً جاريةً، فالله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه.

مرة ذكرت لكم أن النبي عليه الصلاة والسلام كان مع أصحابه فمروا بغير، فقال:
((صاحب هذا القبر إلى ركعتين مما تحقرن وتنفلكم يزيدهما هذا في عمله أحب إليه من بقية
دنياكم))

[ورد في الأثر]

ونحن أيّها الأخوة سوف نمضي، ما الذي يبقى؟ درهم أفقته في سبيل الله، ركعتان صليتهما بإخلاص الله عزّ وجلّ، كلمة حقّ نطقها، عيادة مريضٍ عدته، صلة رحمٍ وصلتها، هذا الذي يبقى، أيّ معظم النشاط لا قيمة له، ماذا أكلنا؟ ماذا شربنا؟ ماذا عملنا؟ كيف جمعنا الأموال؟ كلّه يذهب، فقد كان عليه الصلاة والسلام يوزع شاءَ، وزعها كلّها لم يبقَ إلا كتفها قالت السيدة عائشة له: لم يبقَ إلا كتفها، اجعل لنا شيئاً، فقال عليه الصلاة والسلام:

((بل بقيت كلها إلا كتفها))

[الجامع الصغير عن عائشة]

فالذي يبقى هذا الذي تتفقه اليوم، وهذه الصلاة التي تصليها، وهذا العمل الصالح الذي تعمله، وهذه الصلة التي تصلها، هذا الذي يبقى والباقي كلّه..
﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانِ﴾

[سورة الرحمن : ٢٦]

الدعاء :

اللهم اهدنا فيمن هديت، وعافنا فيمن عافيت، وتولنا فيمن توليت، وبارك لنا فيما أعطيت، وفنا واصرّف عنا شرّ ما قضيت، فإنك تقضي بالحق ولا يقضى عليك، وإنك لا يذل من وليت ولا يعز من عاديت، تبارك ربنا وتعاليت، ولك الحمد على ما قضيت، نستغرك ونتوب إليك، اللهم هب لنا عملاً صالحاً يقربنا إليك. اللهم أعطنا ولا تحرمنا، أكرمنا ولا تهنا، آثرنا ولا تؤثر علينا، أرضنا وارض عنا، اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بينا وبين معصيتك، ومن طاعتك ما تبلغنا بها جنتك، ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا، ومتعبنا اللهم بأسماءنا وبأبصارنا وقوتنا لأحييتك واجعله الوارث منا، واجعل ثأرنا على من ظلمنا، وانصرنا على من عادنا، ولا تجعل الدنيا أكبر همنا، ولا مبلغ علمنا، ولا تسلط علينا من لا يخافك ولا يرحمنا، مولانا رب العالمين، اللهم اسقنا العيش ولا تجعلنا من القانطين، ولا تعاملنا بفعل المسمئين، ولا تهلكنا بالسنين يا رب

العالمين، اللهم بفضلك ورحمتك أعل كلمة الحق والدين، وانصر الإسلام وأعز المسلمين، وخذ بيد
ولاتهم إلى ما تحب وترضى، إنك على ما تشاء قادر، وبالإجابة جدير.

والحمد لله رب العالمين